أسباب انتشار الإلحاد بين شباب المسلمين وطرق علاجها

نــورة كمــال عــلي عبــد اللاه (*)

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمدًا وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد.....

الإلحاد أخطر ظاهرة تهدد المجتمعات في العصر الحديث لما لها من تبعات خطيرة، وعندما نتحدث عن انتشار الإلحاد في الآونة الأخيرة فعلينا بدايةً التعرف على أسباب انتشار الإلحاد، تلك الأسباب التي دفعت كثير من الأفراد للتنصل من دينهم، والدفاع عن أوهام وكأنها يقين، ليس ذلك فحسب بل وشن حروب عنيفة ضد الأديان ومعتنقيها، وتحمل تبعات ذلك من هجران أهليهم وأوطانهم، ونبذهم مجتمعيًا، ودوافع وأسباب الإلحاد كثيرة، سوف أقوم بتحليلها في هذا البحث، مع عرض أبرز المقترحات لعلاج هذه الظاهرة الخطيرة.

مشكلة البحث:

انتشار الإلحاد سرًا وجهرًا، وقيام الملحدون بالجهر بإلحادهم والتبشير به، ويلاحظ في الآونة الأخيرة زيادة مطردة في أعداد الملحدين التي لم يتم حصرها بدقة إلى الآن لعديد من الأسباب، لذا كان من الضروري دراسة أسباب الإلحاد، وتسليط الضوء عليها، مع البحث عن سبل للوقاية من الإلحاد وعلاج آثاره.

أهداف البحث:

١- البحث عن أسباب الإلحاد، وتحليلها.

٢- التعرف على سبل الوقاية والعلاج لهذه الظاهرة.

أسباب اختيار الموضوع:

١- تسليط الضوء على الإلحاد باعتباره خطر يهدد الأفراد والمجتمعات.

٢- توعية الأفراد بالأسباب التي قد تدفع بعض الأفراد نحو الإلحاد لتوخي الحذر من تلك الأسباب وتجنبها.

خطة البحث:

يحتوي البحث علي مقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع وبواعث اختياره، أهداف البحث، ثم تقسيم البحث وفيه:

ينقسم البحث إلى ستة مباحث وهي:

- المبحث الأول: الأسباب الشخصية (الذاتية) الدافعة نحو الإلحاد.
- المبحث الثاني: الأسباب التربوية الدافعة نحو الإلحاد.
- المبحث الثالث: الأسباب الاجتماعية للإلحاد.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحثة، وهي بعنوان: [الآثار السلبية لموقع اليوتيوب على عقيدة المسلم وطرق علاجها "مواقع الإلحاد أنموذجاً"]، وتحت إشراف: أ.د. إسماعيل فهمي عبد اللاه - كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. فاطمة الزهراء صالح – كلية الآداب – جامعة سوهاج.

- المبحث الرابع: الأسباب الحضارية والثقافية للإلحاد:
- المبحث الخامس: سبل المقاومة والعلاج للإلحاد:

المبحث الأول: الأسباب الشخصية (الذاتية) الدافعة نحو الإلحاد.

قبل البدء في سرد وتحليل أسباب الإلحاد، يجدر بنا بداية تعريف الإلحاد:

تعريف الإلحاد لغةً: من لحد، ولحَدَ فِي الدِّينِ يَلْحَدُ وأَلحَدَ: مالَ وعدَل، وَقِيلَ: لَحَدَ مالَ وجارَ. وقال ابْنُ السِّكِّيتِ: المُلْحِدُ العادِلُ عَنِ الْحَقِّ المُدْخِلُ فِيهِ مَا لَيْسَ فِيهِ، يُقَالُ قَدْ أَلحَدَ فِي الدِّينِ ولحَدَ أَي حَادَ عَنْهُ، وَقَالَ الزَّجَّاجُ: وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بإلحادٍ؛ قِيلَ: الإلحادُ فِيهِ الشَّكُّ فِي اللَّهِ.(١)

تعريف الإلحاد اصطلاحًا: هو (مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى: فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق. وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت)(٢).

و(إن الإلحاد يطلق على الظلم وكل جور، ثم شاع استعماله في إنكار وجود الباري، حتى أصبح عند إطلاقه لا يفهم منه إلا ذلك المعنى، بعد أن كان يستعمل في كل انحراف وتحريف)(٣).

ويمكن تعريف الإلحاد المعاصر بأنه: إنكار ورفض للأديان، قد يصاحبه إنكار لوجود الإله، وقد يقر بوجود الإله ولكن ينكر سلطته وتحكمه في الكون، وكذلك يرفض اتصاله بالبشر، وكلا النوعين من الملحدين ينكر البعث والثواب والعقاب، وكذلك ينكر النبوة.

وأما عن الأسباب التي أدت لوقوع كثير من الأفراد خاصةً الشباب فريسة للإلحاد فهي متنوعة، ونبدأها بسرد الأسباب شخصية، وهي نابعة من ذات الفرد، تتنوع ما بين العقل والروح، وما بين نشأة الفرد والمستجدات المحيطة به، وأبرزها:

١- ميل الشخص للشك وكثرة التساؤل: يميل بعض الأشخاص للشك، ودائرة الشك تبدأ صغيرة وتتسع حتى يشك في كل ما حوله، إلا ما يثبت له بدليل مادي ملموس، وهم أيضًا يميلون لكثرة التساؤل عن كل ما هو محيط بهم، خاصة الغيبيات.

---

(١) لسان العرب- أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري- دار صادر بيروت.- مادة "لحد"- ٣٨٨،٣٨٩/٣.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة- الندوة العالمية للشباب الإسلامي- إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني- دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ- ص٨٤٠.

(٣) من تاريخ الإلحاد في الإسلام- عبد الرحمن بدوي -مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م.- ص٩.

وهذه الفئة من الأفراد يُرهقون عقولهم بكثرة التساؤل والبحث، ولقد غفلوا حقيقة مهمة وهي أن الله عز وجل جعل للعقول حدًّا تنتهي عنده، فلا يمكن الإحاطة بكل شيء مهما بلغ العقل من الذكاء والفطنة، ومهما اجتهد في البحث والتدبر.

٢- تقديم العقل على الروح: يعد مرحلة أولى ثم إلغاء الروح كليةً، فيصبحون ماديين لا يؤمنون إلا بما تتعرف عليه حواسهم.

وهذا يؤدي بالفرد إلى الجفاف الروحي وهو (عدم الشعور بلذة العبادة والقرب من الله والأنس بذكره ومناجاته تبارك وتعالى يؤدي إلى جفاف شديد في المشاعر الروحانية، وهذا الجفاف يجعل قرار الإلحاد يسيرًا على المرء بخلاف من عاين وخبر هذه المشاعر)[١]، ومعلوم إن الدين بالمقام الأول روحي، وكذلك الإيمان فمنبعه القلب وفيه يستقر، فمتى فسدت الفطرة وتخلى المرء عن تلك الروحانيات فيصبح ران على قلبه لا يشعر بلذة للعبادة ولا يستشعر بحلاوة للإيمان، حينها لا يرى للدين مكانًا في حياته.

ويبالغ البعض في الاغترار بعقله (ويصل به الأمر إلى أن يقدس عقله ويغتر به ويُحكِّمه في كل شيء دون تفريق بين ما يصلح العقل للبحث فيه وما لا يصلح ويحكمه في الإيمان بالله، وفي تعقل القضايا الدينية مستعينًا بالعلم. وارتبط العقل المغرور الذي حكّم نفسه في كل شيء بعدة أوهام خاطئة جعلته غير قادر على أن يصل إلى الحقيقة)[٢]، وأبرز هذه الأوهام التي تضلل صاحبها وتصل به للإلحاد:

- الخلط بين المستحيل العقلي والمستحيل العادي: وبينهما فرق فالمستحيل العقلي هو الذي يترتب على فرض وجوده تناقض عقلي، أما المستحيل العادي فلا يؤدي فرض وجوده أو عدمه إلى وجود تناقض مع العقل، فهو ليس بمستحيل من الأساس وإنما جرت العادة على اعتباره مستحيل.
- الخلط بين استحالة تعقل الشيء وصعوبة تصوره: وبينهما فرق، فهناك أشياء تعقلها ممكن ولكن تصورها صعب، مثل ذبذبات الصوت التي أثبتها العلم، فهذه حقيقة ثابتة وهي ممكنة عقلًا ولكن تصورها صعب، وفي المسائل الدينية خاصة ما يتعلق بالغيبيات تجد الشباب عندما يصطدمون بصعوبة تصور الشيء فيظنونه مستحيلًا.
- الخلط بين النظر العقلي العام والنظر العقلي الخاص:حيث يظن الشخص أن ما يراه عقله هو حكم العقل مطلقًا، ولا يفرق بين نظرته الخاصة وبين ما اتفقت عليه العقول السليمة.
- الخلط بين النظريات العلمية المقطوع بصحتها وبين النظريات العلمية التي لم تثبت ثبوتًا قطعيًا: بمعنى أن يُوضع الدين في كفة والعلم في كفة أخرى

(١) الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإلحاد والإيمان- هشام عزمي- دار الكاتب، الإسماعيلية-مصر- ط٢، ٢٠١٥م.- ص٣٣.

(٢) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي- محمود عبد الحكيم عثمان- (أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير)- مكتبة المعارف، الرياض- ص٤٥،٤٦.

ويحكُمون على المسائل الدينية وفقًا لما توصل إليه العلم، في حين أن العلم غير ثابت، خاصة تلك النظريات غير المقطوع بصحتها فيأتي ولو بعد حين من ينقدها ويبني على ركامها نظرية أخرى قد تكون مضادة أو مناقضة لها.[١]

٣- أسباب نفسية أو عاطفية: من ضمنها الخوف والغضب والحزن، وكلها يمكن أن تلعب دورًا في توجيه شخص ما نحو الإلحاد أو الإيمان، فمن البديهي أن تؤثر التجارب الشخصية في بعض قناعات ومعتقدات الأفراد، ولكن من النادر أن يعترف ملحد بأن إلحاده ناجم عن أسباب نفسية أو عاطفية وإنما غالبًا ما يحيلنا إلى أسباب عقلية وحجج فلسفية[٢].

وهناك دراستين نشرتا عام (٢٠١٧م) من قبل الجمعية الأمريكية لعلم النفس، تم تسليط الضوء فيهما على العلاقة بين التجارب الشخصية والموقف من الله والإيمان به، وطبقت الدراسة على ملحدين، ولا أدريين، واتفقت نتائج الدراستين أن الأغلبية أقرت بوجود تجربة شخصية عاطفية سلبية تجاه الله أو فكرة الإله، وكذلك أقروا بأن هذه التجارب الشخصية العاطفية كان لها أثر في موقفهم من الله من حيث إلحادهم أو لا أدريتهم[٣].

والتجارب الشخصية مثل المعاناة من مرض خطير، أو وفاة شخص عزيز، أو المرور بأزمة أو محنة شديدة يشعر فيها الفرد بتخلي الله عنه، أو عدم وجود إله قادر على التدخل –حسب وصف كثير من الملاحدة- وكذلك من الأسباب النفسية رفض بعض الأفراد لوجود الشر أو الفقر أو المرض، في ظل وجود إله رحيم.

٤- الاضطرابات والأمراض النفسية: كما كان العقل منبع الإلحاد عند البعض فالبعض الآخر ينبع إلحاده من حالته النفسية؛ حيث إن (هناك علاقة بين الإلحاد وعددٍ من الاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب والوسواس القهري، بل أن هناك فئات معينة من المرضى نفسيًا... يتم استهدافهم في الدعاية للإلحاد)[٤].

وبصفة عامة نرى أن الإيمان يصاحب معتنقيه حالة من الطمأنينة والسلام والاستقرار النفسي، باستثناء بعض الحالات النفسية العارضة التي قد تعترى بعض المؤمنين نتيجة لضغوط الحياة إلا أن إيمانهم ورسوخهم النفسي يجعلها هفوة لا تتجاوز بعض العبوس والحزن المؤقت، ويعاني الملحدون نقيض تلك الطمأنينة والسلام النفسي.

٥- الانبهار بالثقافة الغربية: بعض شباب المسلمين خاصة العرب لديهم حالة من الانبهار بالثقافة الغربية ويرجع ذلك إلى ما يُصدِّر لهم المثقفون من إنتاج غزير يمجد تلك الحضارة بكل تفاصيلها، أضف إلى ذلك ما وصل إليه الغرب من تقدم

(١) انظر: المرجع السابق- ص٤٦،٤٧.
(٢) انظر: ليطمئن عقلي- أحمد العمري – عصير الكتب– ط١، ٢٠١٩م.- ص٢٧
(٣) انظر: المرجع السابق- ص٢٨.
(٤) الإلحاد للمبتدئين- هشام عزمي- ص٣٥.

علمي ومادي في العصور المتأخرة، مقارنة بتردي الأحوال العلمية والمادية في أكثر الأوطان العربية.

والغرب في مجمله ليس بملحد وإنما شريحة منهم تعتقد الإلحاد أو تميل إليه، وهؤلاء رغم أنهم يرددون تنصلهم ورفضهم لفكرة الأديان بشكل عام إلا أن حربهم أكثر ضراوةً ضد الدين الإسلامي تحديدًا، تجعلهم يعكفون على كتب ودراسات وتسجيل مقاطع لبث الشبهات ضد الدين الإسلامي لنقض عقائده في نفوس معتنقيه خاصة الشباب منهم، وللأسف ينساق وراء شبهاتهم وتضليلهم الكثير ممن يعانون من ضعف الانتماء للدين والعقيدة الإسلامية.

والانبهار بالثقافة الغربية وصل بالبعض لعقدة التخاذل (وهي التخلي عن شعائر دينهم وعزة أمتهم باسم التقدمية وخوفًا من أن يوصفوا بالرجعية)(١).

٦- الاغترار بالنفس: حيث يغتر بعض المثقفين بما لديهم من علم وذكاء وفطنة، ليكن ذلك نقمة عليهم بدلًا من كونه نعمة، فنراهم يؤولون الحقائق ويفترضون الافتراضات البعيدة تمامًا عن الحقيقة، وكل ما يسعون إليه هو إثبات أنهم توصلوا لما عجز غيرهم من البشر التوصل إليه، لأنهم يرون أن أغلب البشر يعيشون على الفطرة والتراث، ولا يستخدمون عقولهم في البحث عن الحقيقة.

ويؤكد ذلك ما رواه الدكتور مصطفى محمود[٢] عن محنته العقائدية التي كان أساسها الزهو العقلي، وفي ذلك قال: (إن زهوي بعقلي الذي بدأ يتفتح وإعجابي بموهبة الكلام ومقارعة الحجج التي انفردت بها، كان هو الحافز دائمًا، وكان هو المشجع، وكان هو الدافع، وليس البحث عن الحقيقة ولا كشف الصواب)[٣].

٧- الرغبة في التحرر من قيود الدين: الدين ليس عبادة فحسب وإنما هو منظم للعلاقات الاجتماعية، يعمل على الحفاظ على الأفراد وحقوقهم وممتلكاتهم، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بوضع الحدود التي تنظم العلاقات البشرية وتحدد لكل فرد ما له وما عليه، ويتمرد بعض الأفراد على ذلك فيرغب في مزيد من الحرية كي يشبع

---

(١) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي- محمود عبد الحكيم عثمان- ص٤٨.

(٢) مصطفى محمود هو: مصطفى كمال حسين آل محفوظ، يرجع نسبه إلى الإمام علي زين العابدين رضي الله عنهما، ولد بقرية "ميت خاقان" بمحافظة المنوفية وذلك عام ١٩٢١م، نشأ في أسرة طيبة كريمة وتربى تربية دينية، كان يحب القراءة وشجعه والده على ذلك منذ الصغر، تخرج من كلية الطب وكان يعشق البحث والتشريح والكشف عن الغوامض في المخلوقات، نشر الكثير من الكتب والأبحاث العلمية، وكذلك نشر كثير من القصص والروايات، له الكثير من الأعمال الخيرية، يُعد من أبرز العلماء الذين عملوا بمجال الدعوة الإسلامية واستطاع أن يجذب الجميع بما فيهم البسطاء ومن أسباب شهرته بين العامة برنامج "العلم والإيمان"، خاض دروب الشك وتغلب عليها بإيمانه الصادق، تعددت وتنوعت مؤلفاته ما بين الأدبية والعلمية وما بين مرحلة الشك ومرحلة اليقين، توفي عام ٢٠٠٩، انظر: الدكتور مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة- حسني محمد أحمد العطار- الجامعة الإسلامية، غزة- (رسالة ماجستير) ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م- ص١٢-٢٠.

(٣) رحلتي من الشك إلى الإيمان- مصطفى محمود- دار المعارف، مصر - ص٨.

رغباته وشهواته من المحرمات كالزنا والطرق غير المشروعة للثراء، وإن كان كثير من الناس يفعل هذه المحرمات دون إلحاد ولكن الضمير هنا يمثل عائق عند شريحة من الأفراد، حيث يؤرق عليهم السلام النفسي، من كثرة اللوم والعتاب فيعتبرون الإلحاد مهرب من ذلك الضمير، وهو رخصة تبيح لهم ما هو ممنوع محرم، وتخلصهم من القيود الدينية التي تحول بينهم وبين كثير من ملذاتهم. (وهذا هو ما يدندن حوله كثير من منظري الإلحاد في كلامهم عن أن الشخص عندما يتخذ قرار الإلحاد يشعر بحالة من الارتياح والخلاص من التكاليف الدينية)[1].

٨- كثرة النقاش والجدال مع الملحدين أو كثرة مخالطتهم: ينبري بعض الأفراد من الدارسين للعلوم الشرعية وغيرهم في النقاش المناظرة مع الملحدين وهذا خطر كبير أدى بالبعض إلى الإلحاد، حتى العلماء بعضهم لم يسلم من ذلك الخطر وتعرضوا للمحن والهفوات الناجمة عن كثرة مناظرة الملحدين ومطالعة كتبهم، فقد تؤدي إلى شتات الفكر والعقل.

وقد تكون المخالطة من باب الفضول عند بعض الشباب، فيخالطون الملحدين خاصةً على وسائل التواصل الاجتماعي ويتابعون تجمعاتهم، ومع الوقت تبدأ عقولهم في طرح نفس الشبهات والبحث عن إجابات لها، ولعمق وتعقد هذه الشبهات، ولعدم دراستهم لقدر كافٍ من العلوم الشرعية يعجزون عن الرد عليها ما قد يودي بهم في غيابت الإلحاد.

٩- الفراغ الوقتي والذهني والروحي: (إن الفراغ الذهني والروحي يجعل الذهن والقلب عرضة لأي شاغل ولو كان سيئًا، وأما من كان وقته ممتلئًا وذهنه وروحه مشبعة بالعلم والعمل والإيمان فهذا عائق وحاجز أمام كثير من الأفكار المنحرفة، والخواطر المقلقة)[2].

ولقد كثر الفراغ في الآونة الأخيرة، يؤكد ذلك دراسة قام بها بعض الباحثين حول أرجاء العالم للمقارنة بين أوقات الفراغ ونسبة أوقات الإنتاج في حياة الإنسان في المائة والثلاثين عامًا الأخيرة، وأوضحت الإحصائيات أنه: في عام ١٩٥٠ ارتفعت نسبة أوقات الفراغ في حياة الإنسان إلى (٢٠.٧%) وانخفضت نسبة وقت الإنتاج في حياته إلى ١٥%، وعام ٢٠٠٠م صارت نسبة أوقات الفراغ في حياة الإنسان العادي ٢٧% في المقابل انخفضت نسبة وقت العمل إلى ٨%[3]، ومن المؤكد أن هذه البيانات في تطور مستمر، حيث إن أوقات الفراغ مازالت ماضية في التهام أوقات الإنتاج، ويساعد على كثرة أوقات الفراغ عدة عوامل أبرزها الجهل والفقر والبطالة، خاصة بين الشباب، وبالطبع ذلك يؤدي إلى كثير من الآثار السلبية كالتدخين وإدمان المخدرات, ويُحدِث أضرار نفسية قد تصل بصاحبها إلى الإلحاد.

---

(١) الإلحاد للمبتدئين- هشام عزمي- ص٣٥.
(٢) سابغات- أحمد يوسف السيد - تكون للدراسات والأبحاث- ط١، ١٤٣٧ه/٢٠١٥م.- ص٤٤.
(٣) انظر: صناعة الترفية- محمد صالح المنجد- مجموعة زاد- ط١، ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م- ص٨،٧.

المبحث الثاني: الأسباب التربوية الدافعة نحو الإلحاد

أغلب الظواهر السلبية التي يعاني منها المجتمع المسلم ترجع في الأصل لقصور في العملية التربوية، لأن التربية هي المسئولة عن إنتاج نشء سليم وسوي للمجتمع، وكل تقصير أو انحراف في العملية التربوية ينعكس على النشء، وعلى المجتمع ككل.

أما عن أبرز العوامل التربوية التي ساهمت في انتشار الإلحاد فتتلخص في الآتي:

١- عدم تربية النشء على العقيدة الإسلامية السليمة: فبعض الأسر يهمشون الجانب الديني في التربية، فلا يحرصون على غرس القيم الدينية في الأبناء منذ الصغر، ولا يهتمون بتحفيظهم القرآن ولا السنة وإنما يُبالغون في الاهتمام بتعليمهم لغات الغرب، ومنهم من يحرص على تعليمهم الفنون والرياضة، ولكن القليل منهم من يحرص على تعليمهم أمور دينهم، كل ذلك ينعكس على تكوين شخصية الابن منذ الصغر وعلى أولوياته في هذه الحياة، غير أنه يكون غير محصن ضد أي أفكار شاذة مناهضة للدين.

٢- التربية الدينية الصارمة: بعض الأسر المتدينة تخشى على أبنائها أن يكون مصيرهم كمصير غيرهم من أبناء جيل الحداثة الذين فرط أهلهم في حفظ دينهم ففرطوا فيه، فنراهم يتشددون في تربية أبنائهم تربية دينية صارمة، مع إجبارهم على أداء الطقوس الدينية من صلاة وصيام وغير ذلك، فيصبح الدين عندهم ما هو إلا قوانين صارمة، وحدود ضيقة، وكلما ضاق عليهم الخناق، كلما رغبوا أن يتحرروا مما وضع عليهم الأهل من حِصار.

ولقد وجدت ذلك السبب رائجًا ذكره بين شباب الملحدين في مقالاتهم وفيديوهاتهم التي تحدثوا فيها عن الأسباب التي دفعتهم إلى الإلحاد، وبعض ملحدين العرب يؤكدون أنهم من خلفيات إسلامية متشددة ومنهم حامد بعد الصمد، والمتنصر رشيد الحمامي(١).

٣- نهر وزجر الأبناء عند توجيههم أسئلة عقدية عميقة: الأطفال والمراهقون يتميزون باتساع الأفق، فكثيرًا ما يسألون أسئلة عميقة ومحرجة للأهل وقد لا يجدون لها إجابة مقنعة، ومن هذه الأسئلة أسئلة عقدية مثل: أين الله؟ لما لا نراه؟ ما شكله؟ لماذا نصلي؟ لماذا نصوم؟ ...الخ، بعض الأهالي يفاجئون من مثل هذه الأسئلة ويعدونها نوع من التعدي والخروج على ما هو مألوف فيزجرون الابن، ويؤكدون له أن مثل هذه الأسئلة يمنع طرحها أو تصورها من الأساس، وبعض الأهالي لا يستطيعون أن يجدوا إجابة مقنعة للطفل، أو يتخيلون أن ذلك الطفل لن يستطيع فهم ولا تصور الإجابة.

(١) هذا قول هؤلاء الملحدون لا نعلم مدى صدقه، فمن الممكن أن يكون تدليس وافتراء لتشويه صورة الإسلام، ولإزعاج الأهالي المهتمون بالتنشئة الدينية للأبناء.

في كل الأحوال هذه ردود أفعال خاطئة، حيث إن هذه الأسئلة تظل عالقة بأذهان الأبناء فإذا ما سنحت لهم الفرصة من قراءة أو سماع شبهات الملحدين التي غالبًا ما تركز على مثل هذه الأسئلة، فإنهم يجدون عند أولئك الملحدين تصورًا مقنعًا لما يدور بأذهانهم، وحتى إن لم يكن تصور مقنع فيكفي أن يشاركوهم في البحث عن إجابة لهذه الأسئلة.

المبحث الثالث: الأسباب اجتماعية للإلحاد

العلاقة بين الفرد والمجتمع علاقة وثيقة فكلاهما يؤثر ويتأثر بالآخر، لذا نجد العامل الاجتماعي من أكثر العوامل تأثيرًا في حياة الأفراد، فمتى تهيأت الظروف والمحيط الاجتماعي لحياة كريمة ومستقيمة، ساعد ذلك على استقرار الأفراد نفسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، وكل ذلك منعكس على صلاح الأفراد واستقامتهم، وعلى النقيض كلما زاد تردي المجتمع كلما زاد الجهل والفقر، وقطعًا ذلك منعكس على استقرار الأفراد ومدى التزامهم الديني والأخلاقي، ويظهر ذلك بوضوح عند دراسة بعض العوامل الاجتماعية التي ساهمت في انتشار الإلحاد، وأهمها:

٤- الجمود الديني: حيث يعاني المجتمع من لغة حوار ديني جامد توارثتها الأجيال لعقود طويلة دون تجديد ولا محاولة لمواكبة التقدم الصارخ، وإننا حين نقول ذلك لا نقصد بتاتًا التعاليم الدينية فهي ربانية ثابتة، ولا نقصد إمالة الدين وفق الرغبات والأهواء ولكن نطمح لخطاب ديني يواكب المستجدات، ويخاطب جيل العصر بما يفهم، ومن ذلك الاهتمام بإنشاء قنوات وصفحات فعالة على مواقع التواصل الاجتماعي حيث إنها أكبر الساحات والتجمعات الشبابية وفيها الخطر الأكبر، لذا لابد من التواجد فيها للحوار مع الشباب وللاستماع لمشاكلهم وما يدور في خواطرهم ليكون ذلك وسيلة مقاومة للأخطار المحيطة بهم.

ولنا في النبيﷺ أسوة حسنة حيث كان يخاطب الناس قدر عقولهم وأحوالهم، وبما يعرفون ويفهمون، وقد روي عن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ قوله: «حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ»[(١)]، لذا لابد من تحديث لغة الخطاب الديني.

وجمود لغة الحوار الديني متمثل كذلك في (الفجوة بين كثير من المتخصصين الشرعيين وبين عموم الشباب، وهذه الفجوة تؤدي إلى نقص في تصور الواقع، وتؤدي إلى عزلة شعورية بين الطرفين، والأشد من ذلك أنها تؤدي إلى تعطيل دور القدوات الذي له شأن كبير في الجانب الإصلاحي)[(٢)].

٥- ضعف المناعة المجتمعية: (وهو انخفاض مستوى التدين في المجتمع بشكل لا يوفر لأفراده المناعة أو الحصانة ضد الأفكار المخالفة، بما فيها الإلحاد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم، بَابُ مَنْ خَصَّ بِالعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ، كَرَاهِيَةَ أَنْ لاَ يَفْهَمُوا، رقم (١٢٧)، ج١/٣٧.

(٢) سابغات- أحمد يوسف السيد- ص٤٥.

وأطروحاته، وهذا الانخفاض في التدين قد يكون على صورتين: انخفاض مستوى العلم بالدين والتفقه بين الناس، وانخفاض مستوى الالتزام بالطاعات)[١].

حيث إن المجتمعات الإسلامية أصبحت لا تملك من المناعة والحصانة الدينية ما يكفي لصد هجمات الإلحاد وغيره من أنواع الانحراف، فنرى المجتمع المسلم يمجد المجتمع الملحد، بل ويحاول أن يسير على خطاه، مما ينعكس على الأفراد سلبًا في كافة التفاصيل وأولها الجانب العقدي، الذي تم تهميشه مجتمعيًا.

ومن مظاهر التفريط العقدي المجتمعي أن يردد المجتمع شبهات الملحدين دون أن يشعر، فهم يدسون لهم السم في العسل من خلال بعض الكتب والمقالات والبرامج التي دومًا ما تشفق على ذلك المجتمع المسلم الذي يعاني من الكبت وعدم التحرر، ويشفقون على تلك المرأة المسلمة التي ظلمها دينها في كثير من التشريعات، ويطالبون بكل جدية بمساندة المرأة المسلمة في الثورة على دينها للتحرر من قيوده، وغير ذلك من الشبهات التي يرددها مثقفو المجتمع المسلم لتصبح قضايا مجتمعية وليست دينية في ظاهرها وفي باطنها تحمل كثيرًا من السموم.

٦- نبذ الفرد اجتماعيًا: بعض الأفراد يعانون من نبذ المجتمع لهم، وأسباب ذلك عديدة ومتنوعة منها، نبذ المجتمع لأصحاب الجرائم، أو نبذهم لبعض المرضى كمرضى الإيدز، وقد يكون النبذ لأسباب ترجع إلى عرق الفرد أو لونه وغير ذلك، مما يُشعِر هذا المنبوذ بالظلم والدونية، والوحدة لذلك يبحث عمن يحتضنه فيُجيد الملحدون ذلك فهم يخدعون الآخرين بأيقونة الإنسانية.

٧- التفكك الأسري: الاستقرار الأسري من أسباب استقرار الفرد نفسيًّا وعقليًّا، أما عدم الاستقرار الأسري يساهم في نشأة فرد ضعيف معنويًا، وغير مستقر فكريًا وعاطفيًا، غير أنه فريسة سهلة لأصدقاء السوء، يُملون عليه توجهاتهم الفكرية والأخلاقية.

٨- الجهل: هو من محفزات كل الظواهر السلبية في المجتمع المسلم، فنجد الجهل سبب في التأخر الحضاري والعلمي والاقتصادي، ذلك التأخر الذي يمثل أبرز الأوتار التي يعزف عليها الإلحاد أيقونته في التغني بأن الإيمان تسبب في الفقر والجوع والتخلف.

ويعد الجهل بالدين هو الذي خلق جيلًا عاجزًا عن رد الشبهات عن دينه بل على النقيض فهم يرددون هذه الشبهات ناصرين أعداءهم وأعداء الدين الإسلامي، (فالجهل هو أكبر مصدر للشبهات، والذي بسببه ممكن أن يصل عدد الشبهات إلى الآلاف، فنفهم ساعتها أنه لا علاقة بين كثرة الشبهات وبين وجود ثغرات أو أخطاء في دين الإسلام ، وإنما: هذا دليل على تفشي الجهل لا أكثر ولا أقل)[٢].

(١) الإلحاد للمبتدئين- هشام عزمي- ص٣٨.
(٢) كتاب الإلحاد (تجميع لمقالات المبادرة من الفقرة اليومية: منكوشات إلحادية)- إعداد وتقديم: الباحثون المسلمون- ص٩٧.

٩- الفقر: هو تلك الذريعة التي يتغنى بها الملحدون ليل نهار، حيث إنهم غاضبون من الإله الذي يجعل الناس يعانون من الفقر، ومنهم من ينكر وجود الإله لذلك السبب.

ومن الناس من يدفعه فقره للخروج عن دينه، والكفر بربه، جحودًا وقنوطًا، وجزعًا من انتظار تغيير الحال، وما يزيد الأزمة في نفوس الفقراء أنهم يرون غيرهم يعبث بالمال ويعيش في رفاهية منقطعة النظير في الوقت الذي هو لا يملك قوت يومه، وهذا يعد أحد أوجه فتنة الفقر، التي كان يستعيذ منها النبيﷺ قائلًا: " وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الفَقْرِ "[١].

ويعد الفقر من الأسباب الأولى للإلحاد قديمًا وحديثًا في الشرق، وكان كذلك في الغرب حيث؛ (كان للأحوال الاقتصادية التي يمر بها الناس نصيب الأسد في تقبل الناس للإلحاد حيث انعدمت في المذهب الرأس مالي ونظام الإقطاع وسيطرة البابوات والأباطرة صفة الرحمة والعطف على الفقراء، فازداد الأغنياء غنى وازداد الفقراء فقرًا وذلًا. فاستغل الملاحدة تلك الأوضاع للتأثير على الناس بأن الأمر موكول لتصرفات الناس وليس هناك إله مدبر له؛ فازداد نشاط دعاة الإلحاد وأظهروا أنفسهم بمظهر المنقذ للفقراء)[٢]، وكذلك الحال في عصرنا الحاضر حيث يتصيد الملاحدة منابع الفقر ويصممون بها دعاية ضخمة لتحدي أن يكون هناك إله موجود قابل بوجود ذلك الفقر المدقع.

(فلا شك أن الفقر من أخطر الآفات على العقيدة الدينية، وبخاصة الفقر المدقع، الذي بجانبه ثراء فاحش، وبالأخص إذا كان الفقير هو الساعي الكادح، والمترف هو المتبطل القاعد، الفقر حينئذ مدعاة للشك في حكمة التنظيم الإلهي للكون، وللارتياب في عدالة التوزيع الإلهي للرزق... ولقد كان بعض السلف يقول: "إذا ذهب الفقر إلى بلد قال له الكفر خذني معك")[٣].

المبحث الرابع: أسباب حضارية وثقافية للإلحاد

هناك مجموعة أخرى من الأسباب الحضارية والثقافية ساهمت في نشر الإلحاد، وأبرزها:

١) الاغترار بالمنجزات الحضارية للإنسان: أغتر الإنسان بما استطاع أن يحقق من إنجازات واعتقد إنه قادر على كل شيء، واعتقد إنه غني عن مدبر لأمره وأمر الكون الذي يعيش فيه، وقد أبعده ذلك عن الفطرة السليمة، التي لو انقاد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الدعوات- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ- رقم(٦٣٨٦)-٧٩/٨، ومسلم في صحيحه: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار- بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ الْفِتَنِ وَغَيْرِهَا- رقم(٥٨٩)- ٢٠٧٨/٤.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودروها في المجتمعات وموقف المسلم منها- غالب بن علي عواجي- الكتبة العصرية الذهبية، جدة- ط١، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م- ج٢/ص١٠١٢.

(٣) مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام- يوسف القرضاوي- مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٦ه/١٩٨٥م- ص١٤.

لها لاستراح من عناء الجدل، ولقادته إلى الله تعالى، ولكن الاغترار بالعقل وبما حقق من حضارة وإنجازات هائلة جعل صوت الفطرة ضعيف مقابل لجاج الحضارة وصخبها[١].

٢) دور اليهود في نشر الإلحاد: أشار إلى ذلك عديد من الكتاب والباحثين المهتمين بموضوع الإلحاد، حيث أشاروا إلى أنه (لم يصبح الإلحاد ظاهرة وبائية في كتل بشرية وتجمعات إنسانية ثقيلة وخطيرة، إلا بعد أن خطط اليهود لنشر الإلحاد في الناس، ولجعله مذهبًا، وإقامة منظمات ودول كبرى تدين به)[٢]، ولقد جاء في بروتوكولات صهيون أكثر من فقرة تدل على ذلك منها: (إن الناس المحكومين بمثل هذا الإيمان سيكونون موضوعين تحت حماية كنائسهم -هيئاتهم الدينية عند جميع المتدينين- وسيعيشون في هدوء واطمئنان وثقة تحت إرشاد أئمتهم الروحيين، وسيخضعون لمشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب الذي يحتم علينا أن ننتزع فكرة الله ذاتها من عقول المسيحيين، وأن نضع مكانها عمليات حسابية وضرورية مادية)[٣].

يعرف اليهود أهمية الإيمان في حياة الأفراد والمجتمعات من حيث تحقيق الأمن والطمأنينة، وهذا عكس ما يخططون لدمار العالم ووضعه تحت سيادتهم، لذا خططوا لنزع الإيمان من قلوب المؤمنين واستبداله بالمادة، وتكرر مثل ذلك في بروتوكولات حكماء صهيون ومن ذلك البروتوكول الرابع عشر وفيه: (حينما نمكن لأنفسنا فنكون سادة الأرض، لن نبيح قيام أي دين غير ديننا، أي الدين المعترف بوحدانية الله الذي ارتبط حظنا باختياره إيانا كما ارتبط به مصير العالم، ولهذا السبب يجب علينا أن نحطم كل عقائد الإيمان، وإذ تكون النتيجة المؤقتة لهذا هي إثمار الملحدين)[٤].

(ليلاحظ القارئ أن علماء اليهود يجِدون بكل ما في وسعهم لهدم الأديان عن طريق المذاهب الاجتماعية والسياسية والفكرية والبيولوجية مثل مذهب دور كايم والشيوعية والوجودية ومذهب التطور والسريالية، وأنهم القائمون على دراسة علم الأديان المقارن متوسلين به إلى نشر الإلحاد ونسف الإيمان من النفوس، وأن تلاميذهم من المسلمين والمسيحيين في كل الأقطار ومنها مصر يروجون لآرائهم الهدامة بين الناس جهلًا وكبرًا)[٥].

٣) التأثر بالفكر الغربي المادي: الفكر المادي هو الذي عصف بالعقائد والأديان في الغرب، ثم صدره بعض المثقفين والفلاسفة إلى بلاد المسلمين، وتأثر كثير من المسلمين بذلك الفكر المادي الذي لا يؤمن سوى بالمحسوس، وعن ذلك

(١) انظر: رحلتي من الشك إلى الإيمان- مصطفى محمود- ص٩.
(٢) أوهام الملحدين- شحاتة صقر- دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي- ص١٩.
(٣) الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون- ترجمة وتعليق: محمد خليفة التونسي- دار الكتاب العربي- ط٤، ١٩٦١م- ص١٣١.
(٤) المرجع السابق- ص١٦٩.
(٥) المرجع السابق- تعليق المحقق: خليفة التونسي- ص١٦٩.

الخطر قال الدكتور محمد غلاب: (وأول هذه الأسباب وأهمها وأجدرها بالرعاية هو تلك العواصف المادية، وهاتيك الزوابع الإلحادية التي هبت علينا في الحقبة الراهنة من الغرب بصورة تكاد تجتاح عقول شبابنا وقلوبهم، إذ يعلن أربابها في غير خجل ولا حياء، بل في فجور ومجون، أن العالم المحس هو وحده الموجود، وإن ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال، وإن مالا يكون موضوعًا للعلم التجريبي فهو ضرب من الأخيلة والأحلام، أو لون من الأساطير والأوهام، وأنهم غير مستعدين للإيمان بالله والروح إلا إذا وضعا على المشرحة وسلط عليهما الميكروسكوب)[1].

ويحدث التأثر بالفكر الغربي المادي من خلال: (التواصل والاحتكاك المباشر بالثقافات الأجنبية عن طريق الدراسة ونحوها، والإشكال الأبرز هنا أن الشاب المسلم يجلس على مقعد التعلم والتلقي من معلمين غير مسلمين، وفيهم من هو متهم بنشر بعض الأفكار الإلحادية، وقد تأثر بعض الطلاب بذلك حتى من أصحاب الدراسات العليا)[2]، وتأثر هؤلاء الطلاب خاصة لو كانوا ذوي مكانة علمية أو اجتماعية مرموقة يؤثر على كثير من العامة والشباب المحيطين بهم الذين ينظرون إليهم بعين القدوة، ويكون ذلك دافع لهم لحذو حذوهم أو البحث في المسألة ومراودة شكوك أنفسهم.

٤) الإعلام: سلاح ذو حدين فكما يستطيع القيام بدور تنويري وتعليمي مثل زرع القيم الإيجابية والأخلاق النبيلة في نفوس الأفراد، كذلك يستطيع القيام بدور سلبي هدام من خلال نشر الرذائل والترويج لها.

لقد (أمسى الإلحاد في الناس ظاهرة بارزة، ينشر في بعض دول الأرض بمختلف وسائل الدعاية والإعلام... فالإلحاد دخل وما يزال يدخل إلى بعض أبناء شعوب الأمة الإسلامية، متسللًا في أثواب العلوم والفنون وأنواع الثقافات الغربية والشرقية)[3].

وساهم الإعلام المعاصر بمختلف أنواعه، خاصةً منصاته عبر الإنترنت، في نشر الإلحاد بشكل مباشر وغير مباشر، من خلال بث شبهات الملحدين وطرحها على الجمهور ومن بين هذا الجمهور كثير من ضعاف النفوس الذين مالوا لاعتقاد هذه الشبهات وللتفكير فيها.

ودور الإعلام في نشر الإلحاد يظهر كذلك في نشر مواد إلحادية، بشكل غير مباشر حيث لا يصرح أصحابها بالإلحاد وإنما يدسون قناعتهم وشبهاتهم كأفكار بين طيات موادهم الإعلامية من كتب وبرامج وروايات وأفلام وغير ذلك، فيعتنق

(١) جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي- محمود عبد الحكيم- عثمان- مكتبة المعارف، الرياض- ص٣٧.
(٢) سابغات- أحمد يوسف السيد- ص٣٣.
(٣) كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة- عبد الرحمن حنبكة الميداني- دار القلم، دمشق- ط٢، ١٤١٢ه/١٩٩١م.- ص٤٣٩،٤٣٨.

فلسفاتهم الإلحادية كثير من الأفراد خاصةً الشباب، وتكون بداية لطريق الإلحاد المباشر.

غير أن الإعلام أعلى كثيرًا من شأن كثير من أصحاب الفلسفات والأفكار المناقضة للدين الإسلامي من المسلمين وغيرهم، والذين عادةً ما يستترون خلف أقنعة كالمناداة بالحرية، وحقوق المرأة، وغير ذلك.

كل ذلك شحن النفوس وهيأها لقبول الفكر الإلحادي، بل واعتناقه عندما تجتمع عدة عوامل أو عند وجود بعض الحوافز التي ذكرنا كثيرًا منها في أسباب الإلحاد.

٥) ضعف الهوية الإسلامية: للإسلام هوية خاصة به، تضفي عليه وعلى معتنقيه من القوة والعزة والكرامة الكثير، وعندما حل الضعف في العالم الإسلامي كان أبرز مظاهره ضعف الهوية الإسلامية، وعدم تمسك المسلمين بتلك الهوية، في المقابل اتخذ كثير من المسلمين موقف التبعية لهويات أخرى، فنراهم يمجدون الغرب بكافة تفاصيله، ومنهم من يمجد الشرق متمثلًا في روسيا الشيوعية.

وأدى ضعف الهوية الإسلامية في نفوس كثير من المسلمين إلى ضعف العقيدة ذاتها في نفوسهم، وجذبهم إلى كثير من الانحرافات العقدية، التي كانت خطوات تمهيدية لإلحاد بعضهم، من فئات المثقفين والشباب المنبهرين بالهوية الغربية، في مقابل نظرتهم الدونية للهوية الإسلامية، كل ذلك من آثار التبعية الفكرية، والغزو الفكري والثقافي.

وسبق أن ذكرتُ أن من أسباب انتشار الإلحاد تقدم دول الغرب المادي مقابل تخلف أو تأخر بلاد المسلمين، نتج عن ذلك التأثر بالغرب وتقليدهم، في مقابل ضعف الهوية الإسلامية في نفوس أصحابها، وقد أفرد ابن خلدون[١] في مقدمته، قاعدة بعنوان "المغلوب مولع أبدًا بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده"[٢] أشار فيها إلى أن المغلوب يقلد غالبه في كل التفاصيل والأحوال، والغلبة ليست عسكرية فحسب فيكفي أن تشعر أمة بأنها ضعيفة مغلوبة وترى العزة والعظمة في غيرها من الأمم المجاورة.

٦) التخلف الحضاري وتقدم دول الملاحدة: يمثل فتنة جعلت البعض يربط ما بين التخلف والتأخر الذي يعاني منه العالم الإسلامي وبين الدين الإسلامي، وكأن

(١) ابن خلدون: هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، الفيلسوف المؤرخ، عالم الاجتماعي. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالاً. وتوجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية. وتوفي فجأة في القاهرة، عام ٨٠٨هـ. اشتهر بكتابه (العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)، وله غيره من المصنفات... ينظر: الأعلام- للزركلي- ٣٣٠/٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- عبد الرحمن بن خلدون- تحقيق: خليل شحادة- دار الفكر، بيروت- ط، ١٤٣١هـ - ٢٠٠١م- ص١٨٤.

الدين الإسلامي بتعاليمه وعقائده هو السبب في ذلك التخلف، حتى إنهم غالبًا ما يصفون الإسلام بدين الرجعية.

ويُرجِّع الملاحدة تقدم الغرب إلى ما يتمتعون به من حرية خاصة الحرية الدينية، والتحرر من الأديان، أما الشرق الإسلامي فيعاني من الفقر والخرافات، التي منبعها الدين.

وكذلك (اقتران القوة المادية بالإلحاد، فأوروبا لم تتقدم وتمتلك القوى المادية وتكتشف أسرار الحياة إلا بعد أن تركت أفكار الكنيسة وعقائدها، وأن دولة كروسيا لم تصبح دولة عظمى إلا بعد أن أعلنت أنها دولة إلحادية، ورأوا مع ذلك أن الدول التي ما زالت تتمسك بالدين دولًا متخلفة في القوة والصناعات، فظنَّ الناس لذلك أن الإلحاد سببًا للقوة والعلم، وأن الدين يعني التخلف والجهل)[1]، وهذا دفع كثير من الناس للنفور من الدين، وحتى إن لم يلحدوا فإنهم يربطون ما بين التخلف والرجعية وبين الدين، فنراهم يصفون من يتكلم في الدين ويلتزم به بأنه رجعي متخلف، ونرى كثير من إعلامي الضلال وساسة العلمانية يسعون لتغيير بعض ثوابت الدين من الشرائع بحجة أنها لا تناسب العصر الحديث، وأن الالتزام بها يعد رجعية مخالفة للحداثة والتطور.

ولقد نسوا ما صنع الإسلام من حضارة خدمت البشرية في جميع ربوع الأرض، وما ينكره مستنيرو الشرق يعترف به منصفي الملحدين وغيرهم من المستشرقين، والمطالع كتبهم يرى أنهم لا يستطيعون إنكار مجد الإسلام لقرونٍ طويلةٍ، ولا ينكرون ما أسهم به الإسلام من تقدم في مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية، لقد حقق المسلمون أوج مجدهم في ظل الالتزام بتعاليم الدين الإسلامي، ونتج تخلفهم عن بعدهم وتفريطهم في دينهم وليس العكس كما يدعي جهال العصر الحديث والذين يعتبرون أنفسهم مستنيرين بنور الغرب وحضارته، ذلك الغرب الذي عاش لقرون في ظلام حالك ينظر بعين العجب والإعجاب لنور الدولة الإسلامية، ورقي حضارتها.

٧) تهاون التشريعات في ردع الإلحاد: من أسباب انتشار الإلحاد وغيره من الأفكار الهدامة والمذاهب الفاسدة عدم وجود تشريعات رادعة تمنع وتجرم الإقبال على ذلك، بل (إن بعض الحكومات صارت تضع قوانينها الدستورية في عبارات لا يرى فيها الملحد قيدًا يكفه عن إعلان إلحاده، أو الدعوة إليه كما يشاء)[2]، ويعمل الملحدون بكل جدية في بلاد المسلمين لانتزاع حقوق دستورية وقانونية تبيح لهم الجهر بإلحادهم، بل والدعوة إليه.

---

(١) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها- عبد الرحمن عبد الخالق- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية- ط٢، ١٤٠٢هـ- ص١٣.

(٢) الإلحاد (أسبابه- طبائعه- مفاسده- أسباب ظهوره- علاجه)- محمد الخضر حسين- مكتبة ابن تيمية، الكويت- ط١، ١٤٠٦ه/١٩٨٦- ص٢٢.

٨) الثورات العربية: والتي ذهب بعض العلماء إلى أنها كانت أحد أسباب زيادة عدد الملحدين وانتشار الفكر الإلحادي في السنوات الأخيرة؛ حيث إن الثورات غالبًا ما يصاحبها تمرد على كل الثوابت ومنها الدين، ففيها دعوة للتحرر من كل ما يرونه قيود، وأبرز مثال على ذلك الثورة الفرنسية والتي على إثرها انتهى عصر تحكم رجال الدين، وسادت كثير من المعتقدات الإلحادية.

وفي ذلك يقول الدكتور عمرو شريف[١]: (وقد شهدت البلاد مدًا إلحاديًا بعد ما أطلق عليه ثورات الربيع العربي)[٢].

٩) موجة إلحاد غربية وعالمية: من أسباب انتشار الإلحاد في العالم الإسلامي، موجة الإلحاد العارمة عالميًا خاصةً في الغرب، فقد ألقت بظلالها على العالم الإسلامي الذي يتأثر بالغرب في كثير من التفاصيل، وخاصةً مع نشاط إعلام الملحدين على وسائل التواصل الاجتماعي وبثهم شبهاتهم حول الدين عامة والدين الإسلامي خاصة.

و(يعلل ذلك المهندس عبد الله العجيري[٣] بأننا في موقف التبعية الفكرية للغرب)[٤].

المبحث الخامس: علاج ومقاومة الإلحاد

تم التعرف في المباحث السابقة على الأسباب التي نتج عنها الإلحاد، وبقي الإشارة إلى سبل علاج ومقاومة الإلحاد، والتي يمكن أن تتحقق من خلال عدة محاور أبرزها:

أولًا: التربية والتنشئة الاجتماعية: وهي السبيل الأول لعلاج ومقاومة الإلحاد وغيره من الظواهر السلبية، ويتجلى دور التربية في الأتي:

---

(١)عمرو عبد المنعم محمود شريف من مواليد بورسعيد، مصر عام ١٩٥٠م، أستاذ ورئيس قسم الجراحة السابق، كلية الطب، جامعة عين شمس، محاضر في موضوعات التفكير العلمي ونشأة الحضارات والعلاقة بين العلم والفلسفة وبين الأديان، ومن أعلام فلاسفة العلم المعاصرين، ومن أهم المتصدين لفكرة الإلحاد، له كثير من المؤلفات أبرزها: المخ: ذكر أم أنثى، و رحلة عبد الوهاب المسيري الفكرية، وخرافة الإلحاد، ووهم الإلحاد، وغير ذلك الكثير من المؤلفات التي تصدى فيها الدكتور عمرو شريف للإلحاد وأبطل شبهتاهم ومزاعمهم... انظر: موسوعة ويكيبيديا ، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/

(٢) خرافة الإلحاد- عمرو شريف- ص٩

(٣)عبد الله بن صالح العجيري (١٣٩٦ هـ، الموافق ١٩٧٦م) باحثٌ ومُفكِّر ومهندِس سعودي. يعمل مديرًا لمركز تكوين للدراسات والأبحاث. مهتمٌ بمنهج الفقه الإسلامي، ودراسة المذاهب العقدية والفكرية؛ حيثُ اشتهر بنقد الإلحاد ونظرية التطور، له العديد من المؤلفات والأبحاث والمقالات المنشورة وله عدد من الكتب المطبوعة، أبرزها: "ينبوع الغواية الفكرية"، و"ميليشيا الإلحاد"، و"شموع النهار"، و"المنشقون"...انظر: موسوعة ويكيبديا، الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki

(٤) الإلحاد للمبتدئين- هشام عزمي- ص٢٢.

١- التربية والتنشئة السليمة: للتربية دور هام في الوقاية من الإلحاد وغيره من الانحرافات العقدية والأخلاقية ويتجلى دور التربية في غرس عقيدة التوحيد في نفوس الناشئة، والتربية الدينية السليمة لا تكتفي بغرس التوحيد فقط، وإنما لابد أن يتبع ذلك الاهتمام بالتربية التعبدية وفيها تهتم الأسرة والمؤسسة التعليمية بتعليم الأطفال بعض العبادات كالصوم والصلاة والأدعية والأذكار وغير ذلك، والثابت أن (الطفولة ليست مرحلة تكليف؛ وإنما هي مرحلة إعداد وتدريب وتعويد للوصول إلى مرحلة التكليف عند البلوغ؛ ليسهل عليه أداء الواجبات والفرائض)[١]. والتربية الدينية بشقيها- العقائدي، والتعبدي- هي التي تنتج مسلمًا سويًا، نافع لنفسه ومجتمعه.

٢- اختيار بيئة صالحة لتنشئة الصغار: لأن الطفل عندما يخرج من عالمه الصغير المحصور في أسرته ويتطلع للعالم المحيط به يتأثر بذلك العالم، ويكتسب منه الكثير، فالمجتمع المحيط بالطفل من العناصر الفعالة في عملية التنشئة الاجتماعية. واختيار البيئة المحيطة متمثل في اختيار الجيران والأصدقاء، لأن بينهم سيربى الأبناء، ومنهم ومن أبنائهم يتخذون الرفاق والأخلاء.

٣- الاهتمام بالرد والتفسير لاستفسارات الأبناء: التربية الإيجابية ترشدنا لضرورة أخذ استفسارات الأبناء مأخذ الجد، وعدم الاستهانة بها، وتهاون الأهل مع الأبناء في مسألة الرد على ما تحار فيه عقولهم قد يدفع الأبناء إلى سؤال من يضللهم، أو إلى الاعتقاد بضعف الدين الإسلامي، وعدم وجود رد يشفي صدورهم ويقنع عقولهم، مما قد يدفع بعضهم إلى سبل الإلحاد.

٤- اختيار منظومة تعليمية موثوق بها: فالمنظومة التعليمية شريك أساسي في تربية وتنشئة الأبناء، لذا وجب الاهتمام باختيار المؤسسات التعليمية التي يُلحَق بها الأبناء، وحسن اختيار المؤسسة التعليمية من ضمانات الحفاظ على عقيدة الأطفال، وتنمية اكتسابهم للقيم الأخلاقية.

ومن سلبيات الحداثة اندفاع بعض الأسر لإلحاق أبنائهم بمؤسسات تعليمية أجنبية، والتي غالبًا ما تتصف بارتفاع المستوى التعليمي بها، وهو ما يفتن به الأهل، ولا يهتمون بما قد يتلقى الناشئة من عقائد مخالفة للعقيدة الإسلامية، واكتسابهم لعادات وتقاليد تخالف عادات وتقاليد مجتمعنا، وتمثل الدراسة في هذه المؤسسات بداية لتنصل الأبناء من الهوية والقومية الإسلامية والعربية معًا، فلا يشغل الدين حيزًا كبيرًا في حياتهم.

٥- اهتمام المنظومة التعليمية بتدريس العقيدة السلمية للأبناء: فأول ما ينوط بالمؤسسات التعليمية القيام به هو الاهتمام بتدريس الأبناء العقيدة الإسلامية منذ

(١) منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين- لمحمد نور سويد- دار طيبة، مكة المكرمة- ط٣، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م- ص٢٥٢.

الصغر، فذلك يمثل اللبنة الأولى لحماية الأبناء من الأفكار الهدامة، وكذلك الاهتمام بغرس القيم الأخلاقية الإيجابية لدى الأبناء.

ثانيًا: التوعية الإعلامية: من أبرز السبل لعلاج ومقاومة الإلحاد وتحقق من خلال الأتي:

١- تنظيم حملة إعلامية لتوعية العامة بأخطار الإلحاد، ويجب أن تكون هذه الحملة متاحة على مختلف وسائل الإعلام لتصل لجميع الفئات.

٢- إنشاء مواقع الالكترونية وصفحات تواصل اجتماعي ترصد مواقع الإلحاد وصفحاته وتتصدى له بالرد على ما يثيرون من شبهات، وتوعية العامة حتى لا تذل قدمهم في متابعة مواقع الإلحاد.

٣- تنظيم مناظرات بين الملحدين وعلماء الدين ليعرض كل اتجاه ما لديه من حجج وبراهين.

ثالثًا: اهتمام البحث العلمي برصد ظاهرة الإلحاد والتصدي لها، ويتحقق ذلك من خلال الأتي:

١- القيام بأبحاث وكتب علمية ترصد ظاهرة الإلحاد، وتتبعها بمزيد من الأبحاث للبحث عن الأسباب التي تكمن خلف انسياق بعض الأفراد نحو الإلحاد، وكذلك البحث عن سبل علاج الظاهرة.

٢- اهتمام منظومة البحث العلمي بالرد على ما يثير الملاحدة من شبهات للطعن في الدين.

الخاتمة

وبعد أن منَّ الله علي بإتمام هذا البحث فإني أختمه بالتأكيد على أهم ما توصلت إليه من خلال هذا البحث من نتائج وهي:

١- يؤدي إلى الإلحاد عديد من الأسباب أبرزها الأسباب الذاتية النابعة من ذات الفرد ومنها الاغترار بالعقل.

٢- الحالة النفسية والمزاجية قد تكون من دوافع الإلحاد، إن مر الفرد بتجربة نفسية سيئة ولم يجد من يمد له يد العون.

٣- أحيانًا ينبع الإلحاد من الضغوط الاقتصادية كالفر المدقع، مقابل الثراء الفاحش وما يحدث من فتنة في نفوس الأفراد.

٤- من أسباب الإلحاد الاغترار بثقافة وتقدم بعض الدول التي تعلي الإلحاد، والظن أن تقدمهم نابع من تحررهم من الأديان.

٥- من دوافع الإلحاد الظن أن الدين مقابل للعلم، وهذا خطأ فادح، إذ لا تناقض بينهما ، وإنما ما يثار من تعارض بين العلم والدين هو من افتعال الملاحدة.

٦- الإلحاد خطر داهم لابد من السعي نحو مقاومته والتصدي له، ومن أبرز سبل المقاومة، التربية السليمة، والتوعية الإعلامية، والأبحاث العلمية.

فهرس المصادر والمراجع

١- الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين- خير الدين الزركلي- دار العلم للملايين، بيروت- ط١٥، ٢٠٠٢م.
٢- الإلحاد (أسبابه- طبائعه- مفاسده- أسباب ظهوره- علاجه)- محمد الخضر حسين- مكتبة ابن تيمية، الكويت- ط١، ١٤٠٦ه/١٩٨٦.
٣- الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها- عبد الرحمن عبد الخالق- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، المملكة العربية السعودية- ط٢، ١٤٠٢هـ.
٤- الإلحاد للمبتدئين: دليلك المختصر في الحوار بين الإلحاد والإيمان- هشام عزمي- دار الكاتب، الإسماعيلية-مصر- ط٢، ٢٠١٥م.
٥- أوهام الملحدين- شحاتة صقر- دار الخلفاء الراشدين، ودار الفتح الإسلامي.
٦- تاريخ ابن خلدون المسمى: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر- عبد الرحمن بن خلدون- تحقيق: خليل شحادة- دار الفكر، بيروت- ط، ١٤٣١هـ - ٢٠٠١م.
٧- الجامع المسند وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري): للإمام أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ابن المغيرة الجعفي البخاري- تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر- دار طوق النجاة بيروت، لبنان- ط١، ١٤٢٢هـ .
٨- جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي- محمود عبد الحكيم عثمان- (أصل هذا الكتاب رسالة ماجستير)- مكتبة المعارف، الرياض.
٩- خرافة الإلحاد- عمرو شريف- مكتبة الشروق الدولية، القاهرة- ط١، ٢٠١٤م.
١٠- الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون- ترجمة وتعليق: محمد خليفة التونسي- دار الكتاب العربي- ط٤، ١٩٦١م.
١١- الدكتور مصطفى محمود آراؤه الاعتقادية وموقفه من المذاهب الفكرية والملل المعاصرة- حسني محمد أحمد العطار- الجامعة الإسلامية، غزة- (رسالة ماجستير) ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م.
١٢- رحلتي من الشك إلى الإيمان- مصطفى محمود- دار المعارف، مصر.
١٣- سابغات- أحمد يوسف السيد- تكون للدراسات والأبحاث- ط١، ١٤٣٧ه/٢٠١٥م.
١٤- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي- دار الحديث – ط٢، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
١٥- صناعة الترفية- محمد صالح المنجد- مجموعة زاد- ط١، ١٤٣٠ه/٢٠٠٩م.

١٦- كتاب الإلحاد (تجميع لمقالات المبادرة من الفقرة اليومية: منكوشات إلحادية)- إعداد وتقديم: الباحثون المسلمون.
١٧- كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة- عبد الرحمن حنبكة الميداني- دار القلم، دمشق- ط٢، ١٤١٢ه/١٩٩١م.
١٨- لسان العرب- لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري- دار صادر بيروت.
١٩- ليطمئن عقلي- أحمد خيري العمري- عصير الكتب- ط١، ٢٠١٩.
٢٠- المذاهب الفكرية المعاصرة ودروها في المجتمعات وموقف المسلم منها- غالب بن علي عواجي- الكتبة العصرية الذهبية، جدة- ط١، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.
٢١- مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام- يوسف القرضاوي- مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٦ه/١٩٨٥م.
٢٢- من تاريخ الإلحاد في الإسلام- عبد الرحمن بدوي- مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٥م.
٢٣- منهج التربية النبوية للطفل مع نماذج تطبيقية من حياة السلف الصالح وأقوال العلماء العاملين- لمحمد نور سويد- دار طيبة، مكة المكرمة- ط٣، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.
٢٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة- الندوة العالمية للشباب الإسلامي- إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني- دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ.